

الرجل الذي عرف أقل مما يجب

كان أرنون ميلتشان هو تشاك نوريس وكالة لاكام.

عنون أبراموفيتش، صحيفة غلوبس الإسرائيلية، ٢٤ أبريل ٢٠٠٨

اقترح ريتشارد كيلى سميث متحمساً أن تسمى الشركة ميلكو، مما رسم ابتسامة عصبية على وجه ميلتشان.

افتراض سميث أن الاسم سيعجبه، لكنه كان مقلقاً بالنسبة لميلتشان واعترض بلطف. وكان يفضل اسماً أكثر عمومية، لكنه لم يرد أن يبدو قليل الاحترام، ولم يُرد أيضاً أن يظن سميث أنه يناهى بنفسه عن التسمية لأي سبب كان. وشرح سميث أن الاسم هو مختصر لتعبير شركة المنتجات العسكرية، ولا علاقة له باسم «ميلتشان»، فالتزم به. ولاحقاً، عندما سمع بلومبيرغ بالاسم، ويخ ميلتشان، لكن الأوان كان قد فات.

وبالرغم من حماسه، ظل سميث يماطل لأسابيع قبل أن يُرد على عرض ميلتشان المغري. فبعد كل شيء، فقد وصل لمنصبه في شركة روكويل بعد أعوام من الكفاح الشخصي، ونال درجة المدير العام في أهم شركات معدات الفضاء الجوي في أمريكا، واكتسب خبرة تجاوزت بكثير تدريبه الشخصي كمهندس، وتعامل مع عقود بمئات الملايين من الدولارات، ومبالغ لم يكن ليحلم قط بالحصول عليها

كموظف أو حتى كمدير عام. وعرف مَنْ هم الذين يجنون المبالغ الطائلة، وعرف أنه ليس واحداً منهم، ومن المحتمل ألا يكون أبداً.

وبداً يعجب بميلتشان بشدة من نواح عدة، وكان يغار منه ويجله في ذات الوقت. إذ كان ميلتشان مثلاً للحياة المرفهة، وكأنه يسبح في بحور المال والشباب، وتحديه قدرة لامتناهية في الحصول على مراده أيما كان، كما كان مستقلاً واثقاً من نفسه، وغير محدود بقيود الحياة، اجتماعية كانت أو اقتصادية. ومع كل يوم يمر، أصبح سميت أكثر انجذاباً للفرصة التي وضعها ميلتشان تدريجياً عند قدميه. في قرارة عقله، كان يرى أن ميلتشان يعرف كيف يجنى المال، وأنه من النوعية التي يجب عليه ملازمتها والاحتذاء بها إن أراد أن يتحرر من أغلال الوظيفة ليحيا الحياة التي شعر أنه يستحقها.

وعندما وافق سميث على عرض ميلتشان لم يكن لديه فكرة عن طبيعة عمل شركة ميلكو، وعن طبيعة الاتفاق الذي سيبرم بينهما. وتردد، هو وزوجته إيميلي. لكنه فوجئ عندما فتح الموضوع مع رؤسائه في روكويل، أنهم سروا به، إذ كان يمثل حلاً للضغط المستمر من السعوديين لقطع العلاقات مع إسرائيل.

وبدلاً من الطلب من روكويل مباشرة، كان بالإمكان تمرير التجارة مع إسرائيل عبر شركة ميلكو، ويمكن لشركة روكويل حينها أن تدعى أنها تتعامل قليلاً مع إسرائيل أو لا تتعامل مطلقاً معها، كما يمكن لميلتشان أن يمرر طلباته لروكويل عبر ريتشارد كيلى سميث، والذي بدوره سيبحث بالطلبية إلى إسرائيل مباشرة، أو إذا لزم الأمر عبر شركة ثالثة يتحكم فيها ميلتشان.

ووفقاً لسميث، فقد عرضت عليه شركة روكويل منصباً بمجلس الإدارة للحفاظ على تصريحه الأمني بالغ السرية، حتى يظل على اطلاع على أحدث التطورات السرية في تكنولوجيا الفضاء الجوي. وقدم ميلتشان العديد من الوعود، وفقاً لسميث، وقال إنه سيمرر كل طلباته من روكويل ومن أية شركة أمريكية أخرى عبر ميلكو.

وأدرك سميث أيضاً أنه إن عمل مستقلاً عن روكويل، فسيتمكن من فعل أشياء أخرى. كان قد حصل بالفعل على العديد من العمولات من الناتو وناسا، والذين كانوا يتعاملون في الأغلب في أنظمة توجيه الصواريخ والتحكم فيها. وكان عضواً بالمجلس الاستشاري العلمي في البنتاجون، وكان يحظى برتبة مدنية بروتوكولية بدرجة جنرال بثلاث نجوم. وكان يمكنه طلب طائرة نقل من القوات الجوية الأمريكية لتقله إلى أي مكان يريده. وكان مقتنعاً بأنه سيتمكن من إبرام بضعة عقود استشارية من تلك المؤسسات. وبطبيعة الحال كان ميلتشان يشجع خط التفكير ذلك.

كان ميلتشان يعرف أن استصدار الترخيص سيكون أكبر عقبة سيواجهها سميث وكان هذا من أهم الأسباب التي جعلته مهتماً بسميث في المقام الأول، إذ إن قدرته المحققة على تحريك المياه الراكدة في النظام الضخم للبيروقراطية الأمريكية قد ظهرت عن حق طوال مشروع آيبكس. وعلى عكس الأمور في إسرائيل، حيث كان ميلتشان يستطيع أن يتجنب العديد من الإجراءات البيروقراطية بمكالمة هاتفية واحدة لبلومبيرغ، كانت البيروقراطية في الولايات المتحدة أكثر شراسة. كانت مكونات الصواريخ عالية الحساسية، والأنظمة الإلكترونية المعقدة، وأنظمة التوجيه تحتاج كلها، من الناحية النظرية، إلى تراخيص تصدير ذخائر، بالرغم من أن كل الجهود كانت تبذل لتفادي أي معوقات.

وكانت العديد من القطع تتال موافقات التصدير الاعتيادية من وزارة التجارة الأمريكية، وفي بعض الأحيان كانت لا تحتاج لذلك حتى. وكان ميلتشان يعرف أن معظم القطع مزدوجة الاستخدامات، والتي تُسترى وتشحن بشكل منفصل، لن تعتبر قطعاً ذات تطبيقات عسكرية. في أغلب الحالات كانت الرخص الخاصة ضرورية إن كانت للقطعة غرض عسكري حصري.

وبمرور السنين شددت الولايات المتحدة الإحكام على سوق القطع مزدوجة الاستخدامات، لكن في مطلع السبعينيات كانت تلك لا تزال في ظلال المنطقة الضبابية، والتي تتخللها فجوات واسعة يمكن لشخص مثل ميلتشان أن يقود شاحنات ضخمة متخبطاً إياها. ووفقاً لسميث فقد ناقش الاثنان البنية التنظيمية للشركة، حيث سيشتمك سميث شركة ميلكو كلية، وسيكون مديرها ورئيس مجلس إدارتها، ولن يكون لميلتشان أية حصة في الشركة. لكن بما أن ميلتشان سيجلب لميلكو كل طلباتها تقريباً، طالب بأن يتم تقسيم الأرباح بنسبة ٦٠٪ له و٤٠٪ لسميث. وبالرغم من الاتفاق لم يكن سميث يعرف أن نسبة الـ ٦٠٪ من الأرباح التي

سيجنيتها ميلتشان ستؤول في الواقع إلى حسابات إسرائيل السرية والتي كانت تحت سيطرة ميلتشان. وسريعاً أقنع سميث نفسه أن التوزيع غير العادل للأرباح كان مقبولاً لكن التكاليف كانت شائناً آخر، ووافق ميلتشان على أن يخصم سميث كل نفقاته من أرباح الشركة في حدود المعقول.

وكان التمويل المبدئي للمشروع هو العقبة الأخيرة. وبما أن سميث لم يكن يملك هذا القدر من المال، وافق ميلتشان على تحمل تمويل الطلبية الأولى للمشروع. وشعر سميث بالرضا حيال ذلك. وكانت تلك فرصته للتحرر من أغلال المؤسسات الأمريكية، ومن تقارير سير العمل، وتقييم الأداء، والجدول الصارمة، وسجلات الدوام.

أصبح رجلاً مستقلاً، والأهم من ذلك، كانت تلك فرصته لجنى الأموال الطائلة. وفي الواقع أملى ميلتشان بدهاء بنود تكوين شركة ميلكو وطريقة تشغيلها. وأقام شركة لا تحمل بصماته وجند عميلاً مرموقاً واسع المعرفة، يعتمد كلية على استعداد إسرائيل -عبر ميلتشان- لتسليم الطلبات. ومقابل اعتماده عليهم، وفي مقابل فرصة العمل لصالح ميلتشان والذي هو امتداد للاستخبارات الإسرائيلية، أعفى ريتشارد كيلبي سميث من نفقات شركته وخصه بنسبة ٤٠٪ من الأرباح.

وكانت طريقة التشغيل المتفق عليها بسيطة ومباشرة: ترسل مديرة مكتب ميلتشان ديبورا بن إسحاق، والتي تعمل مباشرة مع بنامين بلومبيرغ، تلغرافاً مشفراً إلى سميث بقائمة الأغراض الحساسة التي ترغب أية شركة من شركات ميلتشان في الحصول عليها. ويتوارى ميلتشان نفسه في الظلال الخلفية ويتصل بها عندما يلزم الأمر فقط.

وفي أواخر ديسمبر ١٩٧٢، غادر سميث شركة نورث أمريكان روكويل. وكان

البعض في روكويل يعرفون أن سميث قد افتتح بالفعل شركة ميلكو، والتي أدارها من منزله في مدينة هاوس أوف أورانج في جنوب لوس أنجلوس. وكان يدير المشروع في ساعات غير ساعات العمل بالولايات المتحدة، مراعاة لفروق التوقيت في إسرائيل.

وفي ١٩ يناير ١٩٧٣، افتتح سميث والذي كان قد بلغ أربعة وأربعين عاماً شركة ميلكو إنترناشونال، وسجل الشركة في أورانج كاوتن، كاليفورنيا. وكانت دييورا تبعث له بقوائم طويلة من القطع ليشتريها. في المرحلة الأولى، كانت كل القطع التي يتم طلبها من أجل نظام جيريكو ٢ للصواريخ البلاستيكية النووية، وكمهندس متخصص في أنظمة توجيه الصواريخ، كان سميث يستنتج بسرعة بالغة الغرض من كل قطعة، ومن أين يمكن الحصول عليها.

حاول لأقصى مدى ممكن، الالتزام بقوانين التصدير الأمريكية واستصدار تراخيص تصدير الذخائر عندما يلزم الأمر. وكانت العديد من القطع مزبوجة الاستخدامات لا تتطلب رخصة على الإطلاق. وكان المستخدم الأخير لمعظم الشحنات هو شركة رحوفوت إنسترومينتس ليميتد، وهي شركة ذات علاقة وثيقة بوزارة الدفاع، ومقرها كان قريباً من معهد وايزمان للعلوم في مسقط رأس أرنون في رحوفوت. وكان من يدير شركة رحوفوت إنسترومينتس ليميتد كيميائي عبقرى اسمه جوزيف يافى، والذي كان قد ترك معهد وايزمان ليؤسس الشركة.

وفي حالة طلب قطعة تعتبر حساسة للغاية لحد يجعلها لا يجوز ذكرها في التلغراف، كانت ترسل بشفرة محددة مسبقاً، أو يسلمها مبعوث خاص إلى سميث. وكان سميث يتحصل على القطع، ويضع عليها العلامات وفقاً لتعليمات دييورا، ويدفع مقدماً بالأموال التي ترسلها شركات ميلتشان. وبعدها كان سميث يشحن

تلك القطع إلى إسرائيل.

ووفقاً لجريدة واشنطن بوست، أحياناً، كانت القطع ترسل إلى شركة أخرى في هيوستون، تكساس، ثم يتم شحنها إلى إسرائيل. وأحياناً كانت تشحن عبر بلد ثالث أو بواسطة الحقائب الدبلوماسية الإسرائيلية. وكان سميث يرسل إلى شركات ميلتشان الكميات المتفق عليها وكانوا يحاولون ثمنها إلى حساب ميلكو المصرفي في الولايات المتحدة. وكان نسبة الـ ٦٠٪ الخاصة بميلتشان تحول إلى إحدى حساباته المصرفية السرية. وعمل النظام بسلسلة وفاعلية.

وعندما بدأت شركة ميلكو إنترناشونال لميتد تعمل بكامل طاقتها في الولايات المتحدة، كان ميلتشان على دراية تامة بقائمة طويلة من برامج إسرائيل بالغة السرية، مثل مصنع القنبلة الذرية في ديمونة، مساعي صناعة القنبلة النيتروجينية، وبرنامج تصغير القنابل، ومؤسسة أبحاث المياه الثقيلة، وإنتاج صواريخ جيريكو ٢ البلاستيكية في بنر الطابية، وصوامع صواريخ زكريا، والأسطول النووي في تل نوف، وأبحاث الأسلحة الكيماوية والبيولوجية في المعهد الإسرائيلي للأبحاث البيولوجية في نس زيونا. واطلع ميلتشان بتوسع على العناصر الناقصة في تلك البرامج، والتي كانت تحتاجها إسرائيل بشدة لكي تمضي قدماً، وكانت تعتمد عليه لتحقيق ذلك.

ووفقاً للمعلومات التي كشفت للعلن من قبل التقنى النووي الإسرائيلي السابق مورديخاي فانونو، أنه كان من أهم أولويات إسرائيل آنذاك تصنيع قنابل نووية تحتوى على ٤ كيلو جرام من البلوتونيوم، والتي تعادل من ١٢٠ إلى ١٦٠ كيلو طن من المسحوق الانفجاري، أو ما يعادل ١٠ أضعاف القنبلة التي ألقيت على هيروشيما وناجاساكي من قبل الولايات المتحدة في نهاية الحرب العالمية الثانية.

أن الترسانة النووية الإسرائيلية تطورت بشكل كبير منذ صناعة القنبلتين البدائيتين فى عشية حرب الأيام الستة فى عام ١٩٦٧، كانت الترسانة الاستراتيجية لا تزال تُعتبر غير كافية، ولا توفى من نواح عدة المجال المعقد لاحتياجات إسرائيل من أسلحة الردع.

وفقاً لحسابات كل من بيريز وبلومبيرغ وديان كانت إسرائيل تحتاج إلى حوالى ٥٠ قنبلة لإنشاء سلاح ردع قوى طويل المدى بمساحة الإقليم، لكن حتى هذا لم يكن كافياً لأهدافهم الاستراتيجية الأبعد من ذلك.

كان الإسرائيليون فى حاجة لأن يعرف السوفييت أن موسكو نفسها ليست حصينة. وبلا شك، فقد كان السوفييت لديهم القدرة على تفجير إسرائيل ألف مرة الواحدة تلو الأخرى، لكن طالما فهموا أن تلك الخطوة قد تنطوى على ثمن لا يمكن تخيله، حينها ستكون إسرائيل قد حققت هدفها الاستراتيجى الأهم. ولم يكن هذا يعنى قنابل ضخمة فحسب بل والقدرة على إطلاقها لمسافات أكبر.

لكن تلك كانت البداية فحسب. وشعرت إسرائيل أنها بحاجة لأسلحة نووية أصغر للاستخدام فى ميادين المعارك، حجمها يعادل ٥٪ إلى ١٠٪ من قنبلة هيروشيما، ويمكن إطلاقها من مدافع مداها حوالى ٧٠ كيلومتر، أو ما يعادل ٤٣ ميلاً. وكانت تحتاج لصواريخ نووية مصغرة فى حجم حقيبة اليد كأسلحة ردع لهؤلاء الذين يظنون أنهم خارج مداها. ونظراً للمسافة الصغيرة التى تفصل بين إسرائيل وأعدائها، فقد كانت فى حاجة إلى القنبلة النيوترونية، وهى أسلحة نووية حرارية تحدث حرارة وانفجارات صغيرة وتطلق كميات كبيرة من الإشعاع القاتل، ولا يتجاوز مداها منطقة مساحتها بضع مئات من الياردات فقط. وبسبب قدرتها التدميرية قصيرة المدى وعدم وجود عواقب طويلة المدى، تعتبر قنبلة النيوترون

شديدة الفاعلية ضد الدبابات وتشكيلات المشاة في أرض المعركة لكنها لا تعرض المدن للخطر ولا التجمعات السكانية على بعد أميال قليلة.

جعلت المسافات القصيرة لمسرح العمليات الإسرائيلي، وتقارب المسافات بين سكانها للقنبلة النيوترونية أولوية هامة. وبهذا حددت لاكام العمل الذي يلائمها.

أثناء اجتماعات عدة مع بلومبيرغ وبيريز، عرف ميلتشان خيار شمشون وفهمه، أى مبدأ الأسلحة النووية الإسرائيلية. بالنسبة للرأى العام، لن تكون إسرائيل الدولة الأولى التى تعلن أنها تنتج الأسلحة النووية فى الشرق الأوسط ولن تؤكد وجودها أو تنفيه.

أما ما لم يتم إقراره علناً، على الرغم من الافتراض العام بصحته، هو أن إسرائيل تمتلك سادس أو ربما خامس أكبر كتلة أسلحة نووية فى العالم وأنها لن تستخدمها إلا إذا واجهت خطر الإبادة الفيزيقية ولم يتبق أمامها ما تخسره. ويشير مصطلح "خيار شمشون" بشكل رمزى إلى قصة شمشون التوراتية، وهو السجين اليهودى الذى هدم المعبد على رأسه ورعوس معذبيه.

ومع تصاعد أنشطة ميلتشان السرية وتوسع عمله من أجل إنجاز السر الكبير، شعر كل من بيريز وبلومبيرغ أن الوقت قد حان لضمه لعضوية ناديهم، وأن يتم اصطحابه فى جولة طوال اليوم فى مفاعل ديمونة التى لم يقم بها إلا الأعضاء أهل الثقة والمطلعون من القيادة الإسرائيلية. وكان مرشدهم فى تلك الجولة هو رئيس عمليات مجمع المفاعل آنذاك يوسف توييمان.

كان أول ما انبهر به أرنون بمجرد وصوله إلى البوابة بعد رحلة طويلة بالسيارة، هو الأجواء السلمية، وكأن المكان واحة فى وسط الصحراء؛ وكانت المساحة الخضراء معتنى بها جيداً وكانت صفوف أشجار النخيل الصديقة للبيئة

تتمایل برفق مع النسيم العابر.

وفى وقت زيارته الأولى، كان المجمع أصغر بكثير مما هو عليه الآن، ويحوى ستة منشآت فحسب، مقارنة بالعشرة منشآت الحالية.

وتم اصطحاب أرنون بشكل تلقائي عبر الأقسام المختلفة. وسرعان ما عرف أن المفاعل قدرته تبلغ ١٥٠ ميجاوات ويعمل به حوالى ٢٧٠٠ شخص فى مهام منفصلة باللغة الخصوصية. كان، ومعه نصف البلد يفترضون بالفعل أن الغرض الرئيسى من تلك المؤسسة هو إنتاج البلوتونيوم، وهو منتج ثانوى لليورانيوم بغرض تصنيع ترسانة للأسلحة النووية. وعلم أرنون أن إسرائيل لا تحتاج فى المتوسط سوى ٤ كيلو جرام من البلوتونيوم لإنتاج قنبلة واحدة من النوع الذى كان يركز عليه البلد وقتئذ.

ماكون ١: كانت البنية المهيمنة على المجمع بقبة عزل يصل ارتفاعها إلى ٦٥ قدماً وكانت مرئية بوضوح من الطريق الرئيسى الذى يصل بئر سبع بوادى عربية. كانت ولا تزال، الرمز المرئى الشهير للبرنامج النووى الإسرائيلى، وهناك بدأت جولة أرنون، وعلم أن أكسيد اليورانيوم المخضب بنسبة ٣ أو ٤٪ يتم تصنيعه فى هيئة كرات صغيرة، ثم يتم إدخاله فى قضبان الوقود.

وكانت تلك القضبان مولدات للنيوترونات، متراسة بالقرب من بعضها البعض، تتفاعل تفاعلاً متسلسلاً ذاتياً لإنتاج الطاقة وعناصر جديدة عن طريق انشطار اليورانيوم لإنتاج البلوتونيوم.

وكان هذا البلوتونيوم يتم تجميعه لإنتاج القنابل، لكنها كانت عملية بطيئة وشاقة. وسرعان ما استوعب عقل أرنون النابه العملية بدون حاجة لمزيد من الشرح. ومنها تم اصطحابه إلى ماكون ٣، متجاهلين ماكون ٢، والذي كان له أن

يعود إليه في نهاية الجولة.

وكان ماكون ٢ يُستخدم في الأغلب لمعالجة اليورانيوم الطبيعي من أجل المفاعل ولتحويل ليثيوم ٦ إلى مادة صلبة، لاستخدامه في رؤس الصواريخ النووية الحرارية، كما شرح له مرشده بشكل تلقائي. ثم انتقلوا سريعاً إلى جناح ماكون ٤، والمخصص لمعالجة بقايا المنتجات النشطة إشعاعياً، وكان يشمل مصنعاً لمعالجة البقايا ووحدة تخزين للبقايا النشطة. أما عن البقايا غير النشطة فكانت تمزج بالقار، ثم تُعبأ وتدفن في موقع سرى، يفترض أنه خارج البلد.

وكان ماكون ٥ يتعامل مع اليورانيوم الناتج من ماكون ٢، الذي كان يصنع على هيئة قضبان تبطن بالألومونيوم قبل أن ترسل إلى المفاعل في ماكون ١. ومنها كان يذهب إلى ماكون ٦، والذي كان يستخدم في الأساس كمنشأة للصيانة تخدم المجمع كله. وشعر أرنون بالتميز إذ تم السماح له بالدخول إلى عالم يمكن أن ترتكب جرائم قتل في سبيل الاطلاع عليه لأقوى وكالات الاستخبارات العالمية. وصلت الجولة لذروتها عندما وصلوا إلى بناية مستطيلة بسيطة من طابقين وبلا نوافذ تعرف بماكون ٢، أثنى ما في مجمع ديمونة. ومن الموظفين الكثر الذين يعملون بمفاعل ديمونة، لم يكن يسمح سوى لحوالي ١٥٠ موظف فقط بالدخول إلى ماكون ٢، وأسفل البناية ذات الطابقين بريئة المظهر كانت تقبع ٦ أدوار شاسعة، على عمق سحيق تحت الأرض، لا تراها الأقمار الاصطناعية ولا الضيوف غير المدعوين. وكان ذلك هو قدس الأقداس، حيث أسست إسرائيل منشأة ضخمة لفصل البلوتونيوم بهدف واحد فقط... وهو صناعة القنابل النووية. ودخلوا إلى الطابق الثاني، والذي كان في الواقع الطابق الثامن!

عندما زار المفتشون الأمريكيون مفاعل ديمونة في الستينيات، زاروا ماكون ٢

أكثر من مرة، وشاهدوا المكاتب وتناولوا الغداء في مقصفه. وهم غافلون تماماً عن الأسرار الخطيرة التي تقبع تحت أقدامهم مباشرة، بفضل الحائط المزيف الذي أقامه بلومبرج أمام المصاعد المحرمة والتي تؤدي من المقصف إلى المجمع تحت الأرضي، ولم يتمكن المفتشون الأمريكيون من تخيل حجم الخداع الإسرائيلي.

انبهر أرنون وضغط مرشده على زر الدور الرابع، وفتح باب المصعد على شرفة كبيرة تطل على فضاء شاسع فوقها وتحتها. وكانت تلك شرفة جولدا مائير الشهيرة، وسميت على اسم رئيسة وزراء إسرائيل والتي وقفت في ذات المكان بالضبط عدة مرات، تتلقى التقارير وتفحص العملية. وقيل إنها علقت قائلة: لن يقاد أى يهودى أعزل إلى مذبحه كما حدث في المحرقة بعد ما رأيناه هنا.

دهش أرنون لما يشهده وشعر بالفخر والتمكين وهي مشاعر طغت على أى إحساس مشابه كان قد شعر به فى الماضى. وإذ يقف فى شرفة جولدا تلقى تقريراً مفصلاً عن عملية تصنيع الأسلحة النووية. وكان التقرير يشمل العديد من المصطلحات والإجراءات والمواد التقنية، والتي حفظها أرنون سريعاً فى ذاكرته بينما كان يشاهدها، وهو مبهور بالعملية التي كانت تتكشف أمام عينيه.

عرف أرنون أن هناك شاحنات خاصة كانت تأتى بقضبان اليورانيوم المعالج والذي كان يعد بالدور الأرضى من ماكون ١ ويتم رفعه إلى الطابق السابع. وكان ثمة رافعة تقبض على الأعمدة وتنزل بها إلى منطقة العمل بالأسفل. وكانت القضبان تُغمر فى أحواض حامض النيتروز ثم تطهى. وكانت شبكة من المواسير تُصفى المياه التي تحتوى على اليورانيوم والبلوتونيوم عبر عملية كيميائية كما كانت المواد تُفصل وتستخلص فى القرن، لتنتج كرات بلوتونيوم صغيرة وزن كل منها ١٣٠ جراماً، بإجمالى ١٠٧ كيلو جرام فى الأسبوع، وكانت الكمية المطلوبة لصناعة

قنبلة هي ٤ كيلو جرام.

وفقاً للحسابات التي أجراها أرنون سريعاً كان بوسع إسرائيل إنتاج قنبلة نووية كل أسبوعين ونصف، أو حوالي ٢٠ قنبلة نووية في العام. وفي معامل أخرى تحت الأرض، تم إخبار أرنون بأن هناك مواداً ضرورية إضافية يتم إنتاجها، مثل التايتينيوم لصنع القنابل النووية الحرارية. ساد الصمت الرهيب الغرفة، مع قليل من الهمسات العرضية، كما لو كانوا في مكتبة أو كنيسة.

وعقب ذلك تبع أرنون مرشده إلى الغرفة الأخرى، وكانت غرفة ترفيهية للموظفين مخصصة لمجمعي القنابل، وكانت الفكرة منها توفير بيئة خالية من الضغوط ومريحة بقدر الإمكان للمُجمعين، إذ كان من غير المقبول ترك أشخاص يعملون بمثل تلك الوظيفة يشعرون بالتوتر أو الانزعاج أو الكدر بأي شكل كان.

وفي الغرفة الترفيهية تلقى أرنون تقريراً هاماً عن احتياجات ديمونة من المواد، عبارة عن قائمة طويلة من الأغراض المطلوبة وبدأ أرنون يفهم الآن أن تلك من المهام المصيرية التي هيأ لها كل من بيريز وديان وبلومبرج، ألا وهي تطوير البرنامج النووي الإسرائيلي.

وبطبيعة الحال كان أكبر الاعتبارات هي توفير مورد ثابت لليورانيوم. كانت إسرائيل قد أملت أن تستخرج يورانيوم كافياً من موارد البوتاس في صحراء النقب، لكن النتائج كانت محبطة.

ونما لعلم أرنون أن المفاعل يعمل بشكل عشوائي، ويعتمد على عمليات لاكام المبتكرة والجريئة ليستمر في عمله وكانت معظم الأغراض المطلوبة غريبة وغير مألوفة بالنسبة له، مثل الملح الأخضر، وهو مركب بلوري صلب من تترافلوريد اليورانيوم، والكريترون وهي أنابيب من الكاثود البارد معبأة بالغاز تستخدم

كمفاتيح فائقة السرعة لتفجير الأسلحة النووية، والنابذات وهي أجهزة تستخدم قوة الطرد لفصل المواد. والنابذ يمكن استخدامه لأغراض عدة، لكن لم يكن معروفاً آنذاك أنه يمكن استخدامه أيضاً لتخصيب اليورانيوم بدرجة تحقيق جودة الأسلحة. وضمت القائمة أيضاً دتريد اليورانيوم، وهي مادة ليس لها أى استخدام مدنى أو عسكرى محتمل سوى إنتاج القنبلة النووية.

كانت ميلكو وشركاها واجهة أخرى أسسها أرنون معدة خصيصاً بفرض الحصول على تلك المواد. وحققت جولة المفاعل الغرض منها لدى بيريز وديان، إذ أصبح أرنون متحمساً أكثر من أى وقت مضى لأداء دوره.

أراد أن ينجح من منطلق الوطنية العميقة. وفكر فى جده الراحل حاييم إيلعازر ميلتشان، الذى نجا من المذابح وترك عائلته فى بولندا وهو فتى أغر فى الرابعة عشرة من عمره ليصل وحده على شواطئ أرض مقفرة، ومعه حلم كبير، نسج منه حياة مزدهرة بيديه. ورسخ حاييم فى حفيده حب بلده والاستعداد لفعل أى شىء من أجله، بما فيه التضحية بحياته إن لزم الأمر.

قال أرنون: أحب إسرائيل، وسأساعد بأية طريقة ممكنة، وسأفعل ذلك مراراً وتكراراً.

كان أحد أهدافه المتعددة هو جلب تصميم النابذات، وهي طريقة جديدة وبالغة السرية لتخصيب اليورانيوم. وكان المصنع الأول للنابذات فى العالم هو شركة يورينكو ليند، وهي شركة مقرها فى يوليش، ألمانيا، ومملوكة لاتحاد شركات هولندية وألمانية وإنجليزية.

ووفقاً للدكتور أفنر كوهين، وهو خبير مخضرم فى الانشطار النووى، فقد بدأت إسرائيل تجرب النابذات من مطلع الستينيات حتى منتصفها، لكنها استغرقت

وقتاً طويلاً، ربما عقداً، لإنتان تلك التكنولوجيا. وفي الواقع لم تتقن إسرائيل يوماً تكنولوجيا النابذات من تلقاء نفسها، بل فعلت ذلك فقط بعدما حصلت على تصميمات شركة يورينكو للنابذات في مطلع السبعينيات من أحد المديرين التنفيذيين في يورينكو نفسها، وتم تبادل المال، ووضعت التصميمات في المكان الخطأ وتم العثور عليها لاحقاً، لكن ليس قبل أن تصنع منها نسخ، والتي ظهرت بأعجوبة على مكتب بينيامين بلومبرج في تل أبيب. وتم إنجاز المهمة.

وخلال بضعة أعوام من زيارة ميلتشان الأولى لمفاعل ديمونة، تم تخصيص مبنى "ماكون" جديد بأكمله لتخصيب اليورانيوم بشكل أسرع وأكثر فاعلية، بواسطة النابذات التي تم تصميمها كلياً في إسرائيل طبقاً لتصميمات يورينكو بالضبط، والمبنى هو ماكون ٨، الذي يضم آلاف النابذات الدوارة، والذي يستحق أن يسمى ماكون ميلتشان.

ولاحقاً، تم إضافة منشأة إضافية "ماكون ٩"، إلى مفاعل ديمونة لمواصلة تكنولوجيا الليزر المطورة حديثاً. وكان ميلتشان اللاعب الرئيسي في توفير الكثير من المواد الحساسة والمعدات التي احتاجها العلماء لتطوير تلك الطريقة الفريدة لتخصيب اليورانيوم.

وجدير بالذكر أنه بعد فترة وجيزة من حصول إسرائيل على تكنولوجيا النابذات من يورينكو، سلم الدكتور عبد القادر خان "أبو القنبلة الباكستانية"، والذي كان يعمل آنذاك في أحد المعامل التابعة لشركة يورينكو في هولندا، التصميمات ذاتها إلى باكستان، ثم باعها لاحقاً إلى إيران وكوريا الشمالية. وتمثل سرقة الدكتور خان وانتشارها لاحقاً أسوأ اختراق أمني ذي علاقة بتكنولوجيا الأسلحة النووية منذ فجر التاريخ الذري، ويفسر أيضاً سبب استخدام كل من إيران

وإسرائيل لنابذات نووية متطابقة، وتلك حقيقة استفادت منها إسرائيل لاحقاً.

وكان مطلو الاستخبارات الأمريكية يعرفون بأمر الهدف من مفاعل ديمونة، واحتياجاته، وبرامج إسرائيل السرية الأخرى لتطوير أنظمة التوصيل، مثل صاروخ جيريكو ٢ .

وكانوا يعرفون دور ميلكو كمورد جديد لمتطلبات إسرائيل العسكرية، وكان ذلك فى الأساس بسبب تقارير ريتشارد كيلي سميث المنتظمة إلى السى أى إيه كشرط للحفاظ على تصريحه الأمنى. لكن أياً من هذا لم يضايق ميلتشان لأنه فهم أن المخاطرة الكبرى فى الولايات المتحدة كانت هى العمل خارج المنظومة. وكان من الأفضل له العمل فى النور، داخل حدود القانون، أمام أعين الجميع، وبذلك يستفيد أقصى استفادة من داخل المنظومة، ثم يدعى الجهل، وأنه خطأ برىء، أو سوء فهم نتيجة الترجمة الخاطئة للتعليمات، إن حدث خطب جلل. وكانت الأخبار الجيدة هى أنه إن افترض أمر الشركة، فلم يكن لميلتشان أى حصة فيها.

وعلى أية حال، ففى عام ١٩٧٣ كانت السى أى إيه والولايات المتحدة بصفة عامة لديهم مشاكل أكبر من بحث إسرائيل عن مواد حول العالم ليهتموا بها. لم تكن الأمور تسير على ما يرام فى جنوب شرق آسيا. وكانت إسرائيل حليفاً فى الحرب الباردة وكانت تقدم استخبارات بالغة الأهمية، فى الأغلب من المجتمع اليهودى بداخل الاتحاد السوفييتى. وكانت إسرائيل من أهم ميادين التجارب للأسلحة الأمريكية، وكان لها تأثير متزايد فى المؤسسة السياسية الأمريكية تزامنت مع نمو اللوى المؤيد لإسرائيل "إيباك"، وكان لها أصدقاؤها الناقدون فى كل قطاعات الحكومة، ومنها المجتمع الاستخباراتى.

سمحت تلك البيئة لريتشارد كيلي سميث بأن يشعر بالارتياح للمضى قدماً فى

إرسال شحنات إلى إسرائيل خارج النطاق القانوني. وفي عام ١٩٧٢ شحن براميل اليوتيل - وهو مركب يستخدم لتحويل المساحيق التفجيرية إلى وقود صواريخ صلب - إلى شركة أخرى في هيوستون، حيث تم شحنها إلى مستخدم نهائي تبين في النهاية أنه إسرائيلي.

كان مكوناً بالغ الأهمية بالنسبة لصاروخ جيريكو ٢، ونجح سميث في جلبه بوفرة لكنها كانت البداية فحسب ثم تلى ذلك بيروكلورات الأمونيوم والبيوتارين، والجيروسكوب، ومولدات النيوترونات، ومنظار الأوسيلسكوب عالي السرعة، المئات من القطع مزدوجة الاستخدامات، بإجمالي تكاليف يعادل عشرات الملايين من الدولارات. كلها تم شحنها إلى سميث ثم منه إلى المستخدم النهائي هو شركة رحو فوت إنسترومينتس لميتد.

ومع توسع ميلتشان في عملياته في الولايات المتحدة، كان أيضاً مستغرقاً بالعمليات في إيران وفي صفقات شراء معدات الدفاع العسكري المعتادة لإسرائيل. حيث كان يجب العالم بطائرته، ويبرم الصفقات، ويقابل الأقوياء والنافذين، ويعيش بشكل عام الحياة التي يمكن الشخص العادي أن يحلم بها، لكن كانت هناك مشكلة واحدة.

بمرور الوقت، أصبحت "أولا" الحب المهيمن على حياته، وبدأ يفكر في طرق للانفصال عن زوجته، ووعد "أولا" بأنه سيتخذ تلك الخطوة. وقبل ذلك بعام في ١٩٧١، أخطرت بريجيت أرنون بأنها حامل بطفلهما الثاني، ابنتهما ألكساندرا. ولم يكن هذا وقتاً مناسباً للحديث عن الانفصال. لكن بعد بضعة أشهر من ميلاد ألكساندرا، استجمع أرنون الشجاعة الكافية لإبلاغ بريجيت بنواياها تجاهها. وفي ذلك المساء، دخل من باب منزله، متوتراً لكن عازماً. واستدعى بريجيت إلى غرفة

المعيشة ليتناقش معها لكن قبل أن يتمكن من البدء، قاطعته بخبر قاتلة أنا حامل مجدداً.

ومجدداً تراجع أرنون عن حديثه مع بريجيت، وأخبر "أولا" بالموقف.

وفى اليوم الذى ولد فيه طفله الثالث أى ابنته الثانية إيلانور، هرع أرنون إلى المستشفى لمرافقة زوجته. وبينما كان ينتظر خارج غرفة الولادة مع أفراد عائلته، لاحظ ممرضة توجه شرطين صارمى المظهر تجاهه. وياقترابهما منه سأله أحدهما هل أنت أرنون ميلتشان؟ وعندما أجاب أرنون الذى ملأته الدهشة بالإيجاب، كان السؤال التالى هو هل تمتلك حصاناً؟.

كانت "أولا" قد انهارت أخيراً، وحزمت حقائبها، وقبل أن تغادر إلى المطار أطلقت سراح الحصان الذى كان أرنون قد اشتراه لها. وثار الحصان المفزوع فى شوارع ضواحي تل أبيب، مسبباً الفوضى ومنتلفاً العديد من أكشاك البائعين والسيارات. وبعدما أمسكت الشرطة أخيراً بهذا الوحش الهائج، تحروا عن مالكه المهمل.

وبينما كانت بريجيت تلد إيلانور، تم اصطحاب أرنون إلى قسم الشرطة، وأجبر فى النهاية على دفع غرامة وتغطية الأضرار التى تسبب فيها الحصان. وعندما علمت بريجيت بتلك الواقعة، انقلبت علاقتهما رأساً على عقب. وكانت تلك صحوة هائلة بالنسبة لأرنون.

الآن وبعد أن خرجت "أولا" من الصورة، صار أرنون عازماً على إنقاذ زواجه. ووافق الزوجان على إحداث تغيير جذرى فى حياتهما على أمل أن يقربهما ذلك من بعضهما. كان الحل، أو ما أملا أن يكون حلاً، هو الانتقال إلى فرنسا كعائلة، حيث ستشعر بريجيت أنها فى وطنها وأنها بجوار أقاربها.

وقرر أرنون أن يشتري قصراً كبيراً من القرن الثامن عشر على حافة بحيرة صغيرة، جنوب غرب باريس ويبعد عنها بحوالى ٢٥ ميلاً. وكانت تلك الضيعة ذات الخمسين فداناً على مشارف مدينة مونتفورت لامورى التاريخية الخلابة، وعلى حواف غابة رامبويليه، وكان البيت يستخدم ذات يوم كمنزلة للصيد للعديد من ملوك فرنسا. كان جاره هو الرئيس الفرنسى المستقبلى جاك شيراك والذي كان يسكن منزلاً أكثر تواضعاً.

وكانت أقصى آمال أرنون هى أن تصلح البيئة الريفية الخلابة، بخيولها وكل الرفاهيات الممكنة، علاقته الزوجية المضطربة.